القراءات الشاذة وأثرها في تفسير الإمام القرطبي(ت671هـ)

د/محمد ضاحي عبد الرؤف حافظ[1])

مقدمة

الحمد لله الذي تنزّه عن العيوب، ووجلت من خ شيته القلوب إيمانا ويقينا، وسلّ مت له العقول بعد أن خصمتها لطائف حججه، واستولت على القلوب بدائع صنعه، فشهدت أن لا إله إلا الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمدا صلوات الله وسلامه عليه قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة أما بعد؛

فإن أعظم ما صرفت فيه الأوقات ما يخدم البحوث المتعلقة بكتاب الله الكريم وسنة رسوله ؛ وقد اتخذت هذه العناية أشكالا متعددة؛ فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه وغير ذلك حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث كبير.

ذلك التراث الذي دار معظمه حول النص القرآني الذي قال عنه سهل بن عبد الله :" لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلام الله صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلّ بمقدار ما يفتح الله عليه"[2]

ومن هذه البحوث القراءات الشاذة التي خرجت عما يثبت قرآنيتها وهو التواتر، ولخروجها من كونها قرآنا لعدم ثبوتها من القراء المشهود لهم.

ويعد الإمام القرطبي عالما من علما ء التفسير وكتابه الجامع لأحكام القرآن مصدرا مهما من مصادر علوم القرآن الكريم وتفسيره؛ ولا شك أن القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيرا وبيانا، وقد ظهر ذلك جليا في كتابه الجامع لأحكام القرآن ؛ الذي كان بحق جامعا للعديد من العلوم ، وكان من بين العلوم التي استعان بها الإمام القرطبي هي القراءات القرآنية بألوانها المختلفة؛ لذا اخترت أن يكون موضوع بحثي" **القراءات الشاذة وأثرها في تفسير الإمام القرطبي(ت671هـ)"**

أولا: أسباب اختيار الموضوع: كان من بين الأسباب التي دفعتني لاختيار البحث ما يلي:

1- أردت أن أنبه إلى جهد علم من العلماء الذين أسهموا إسهاما كبيرا في الدراسات القرآنية.

2- إن تفسير الإمام القرطبي يحتوي على مادة علمية كبيرة في مجال علم القراءات بألوانها المختلفة سواء القراءات المتواترة والشاذة.

3- إبراز جهود الإمام القرطبي في القراءات الشاذة وكيف سخرها لخدمة تفسيره.

4- بيان أثر القراءات الشاذة في التفسير والأحكام الفقهية من خلال تفسير الجامع لأحكام القرآن القرطبي.

5- مساعدة طلاب العلم وبخاصة المهتمين بدراسة علوم القرآن الكريم وتفسيره على الإحاطة ولو بقدر يسير بهذا الموضوع توفيرا للوقت والجهد.

ثانيا: منهج البحث: سأقوم ببحث هذا الموضوع مستخدما ما يناسبه من المناهج العلمية مستعينا بالمنهجين الاستقرائي والمقارن في جمع المادة العلمية.

هذا وستكون خطواتي في البحث كالآتي:

1- أذكر الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع.

2- أتبع ذلك بذكر نص كلام الإمام القرطبي.

3- عزو الايات القرآنية إلى سورها؛ مع تخريج القرءات من مظانها.

4- تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة النبوية.

ثالثا: خطة الدراسة:

أما عن خطة البحث فقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: بينت فيها أسباب اختياري للموضوع.

---

١) حاصل على دكتوراه في الآداب (دراسات إسلامية).

(٢) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي : 9/1، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1376هـ)

التمهيد: أتناول فيه التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: منهج الإمام القرطبي في التعامل مع القراءات الشاذة وأثرها في تفسيره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الإمام القرطبي في التعامل مع القراءات الشاذة.

المطلب الثاني: أثر القراءات الشاذة في تفسير الإمام القرطبي.

المطلب الثالث: أثر القراءات الشاذة على اللغة.

المبحث الثاني: أثر القراءات الشاذة في الأحكام الفقهية لدى الإمام القرطبي في تفسيره وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف الفقهاء من الاحتجاج بالقراءات الشاذة في الأحكام الفقهية.

المطلب الثاني: أثر القراءات الشاذة في الأحكام الفقهية

المطلب الثالث: الإمام القرطبي ما له وما عليه

***الخاتمة:** ونشتمل على: أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث

ثانيا: أهم التوصيات.

***المصادر والمراجع.**

*هذا ولقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي حتى يخرج في صورة لائقة بالبحث العلمي، فإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني اجتهدت وأنا بشر أخطئ وأصيب، وعذري أنني بذلت أقصى ما في وسعي، ولم آل جهدا في العمل في هذا البحث، فلا كمال إلا لله تعالى، ولا عصمة إلا لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

وأرجو أن يكون عملي هذا مقبولا عند الله تعالى إنه سميع قريب

تمهيد

أولا: التعريف بالقراءات الشاذة في اللغة والاصطلاح

1- القراءات في اللغة:جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى " ق ر ي"، وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع؛ ومنه القرآن، وكأنه سمي بذلك؛ لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[1]

فالقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، فهي مصدر من قولك قرأت الشيء: إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض؛ وجاء في لسان العرب معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا[2]

ب - في الاصطلاح: ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة لها منها:

1- **تعريف الإمام ابن الجزري** قال : "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها "[3]وقال **الإمام القسطلاني** قال: " علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والتحريك والإسكان ، والفصل والاتصال "[4]وقال **عبد الفتاح القاضي** قال عنها :" علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا، مع عزو كل وجه لناقله"[5]

2- الشذوذ لغة واصطلاحا: أ- الشذوذ لغة: مشتق من مادة " ش ذ ذ"، وهو مصدر من شذّ يشذّ شذوذا، تقول شذ الرجل: إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم[6] فالشذوذ يدل على الانفراد، فكل شئ منفرد فهو شاذ.

ب - **والشاذ في الاصطلاح** يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات؛ وعرفت بأنها:" من فقدت ركنا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة" [7]

كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس ابن الجزري الذي قال:" ... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم [8]

إن التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو : القراءة التي صح سندها ، ووافقت اللغة العربية ولو بوجه، وخالفت رسم المصحف.

ثانيا: أنواع القراءات الشاذة من خلال التتبع والاستقراء في المصادر الخاصة لشواذ القراءات وكذلك بالمصادر التي اهتمت ببيان أنواع القراءات المردودة يتبين أنها تنقسم إلى أربعة أنواع

النوع الأول :القراءات الشاذة المشهورة: وهي التي وافقت العربية والرسم العثماني وصح سندها إلا أنها لم تبلغ درجة التواتر، ومن أمثلتها: قراءة ابن عباس في قوله تعالى :(لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ)

[9] القراءة المتواترة بضم الفاء، والقراءة الشاذة بفتح الفاء:"أنفسَكم": أي من خياركم[10]

النوع الثاني :القراءات التي جاءت بطريق الآحاد وتنقسم إلى قسمين :

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: مادة(ق ر ي): 78/5، 79
(٢) انظر: لسان العرب: مادة(ق ر ي)288/1، القاموس المحيط، للفيروز آبادي: مادة(ق ر ي) 24/1
(٣) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ص3، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان : 176/1، الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي: 203/1، البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي:331/1، مناهل العرفان، للزرقاني: 417/1
(٤) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات: 170/1، إتحاف فضلاء البشر، للإمام الدمياطي: 13/1
(٥) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص7، معرفة القراء الكبار، للإمام الذهبي: 39/1
(٦) انظر: مختار الصحاح، للإمام الرازي: مادة " ش ذ ذ"ص332
(٧) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : 11/1، المنهاج في الحكم على القراءات، للدوسري : 17/1، بلغة السالك: للصاوي: 287/1
(٨) انظر:النشر في القراءات العشر: 9/1،منتهى الوصول والأمل، لابن الحاجب: ص46، مغني المحتاج، للشربيني:38/1
(٩) سورة التوبة: الآية(128)
(١٠) انظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص60، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، للإمام ابن جني: 306/1

القسم الأول: كل قراءة لم يصح سندها وإن وافقت العربية والرسم العثماني، يمثل لها بقراءة قوله تعالى : (فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ) [1] قرئت شاذة " ننحيك" بالحاء المهملة، وخلفك بفتح اللام ؛ فهذه وصفت بأنها ضعيفة مردودة، وسمى الإمام السيوطي هذا النوع بأنه موضوع[2]

قال الإمام ابن جني:" قرئت شاذة "ننحيك" بالحاء المهملة، على وزن نفعلك من الناحية؛ أي: نجعلك في ناحية من كذا، يقال: نحوت الشيء أنحوه: إذا قصدته، ونحيت الشيء فتنحى: أي باعدته فتباعد فصار في ناحية[3]

القسم الثاني: كل قراءة صح سندها في الآحاد ولها وجه في العربية وخالفت رسم المصحف، ويمثل لها بأمثلة منها قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء في قوله تعالى(وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ)[4] **بحذف لفظ "ما خلق"**[5]

قال الإمام ابن جني :" والثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر :" وما خلق الذكر والأنثى"، وما ثبت في الحديث من قراءة: "والذكر والأنثى" نقل آحاد مخالف للسواد، فلا يعد قرآنا[6]

النوع الثالث: القراءات المدرجة: المقصود بالإدراج: الإدخال، مشتق من مادة "د ر ج" تقول أدرجت الشيء في الشيء بمعنى أدخلته فيه[7]**أما معناه في اصطلاح القراء**: أن يزاد في الكلمات القرآنية على وجه التفسير فيزاد فيزاد في الآية كلمة أو أكثر، ويسمى تساهلا بأنه قراءات، **ومن أمثلته :** قراءة ابن مسعود :" فصيام ثلاثة أيام متتابعات" بزيادة لفظ "متتابعات"[8]ولعل هذا النوع لا يوصف بأنه قراءة بل هو ضرب من التفسير للآيات.

النوع الرابع: هو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة، وهذا النوع أضافه ابن الجزري ورده بشدة فقال: "فهذا رده أحق، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب العظيم من الكبائر . . .إلى أن قال : ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه"[9]

ومن ثم يتبين أن القراءات الشاذة منها ما هو مشهور لصحة سنده وموافقته للغة ورسم المصحف يقبل في التفسير وبيان الأحكام الشرعية، واللغوية، ولا يقرأ به قرآنا لنقصان رتبته عن درجة التواتر.

رابعا: التعريف بالإمام القرطبي: هو الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزح الأنصاري الخزرجي المالكي الأندلسي القرطبي[10]ويكنى الإمام القرطبي بأبي عبد الله[11]ولد في الأندلس وتحديدا في قرطبة، ولم يذكروا وقت ولادته؛ لأن القدماء يهتمون بتاريخ الوفاة، ونشأ في قرطبة، وصار من أعلامها[12].

شيوخه في الأندلس منهم: ابن أبي حجة، أبو سليمان: ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري ؛ **وشيوخه في مصر**: أبو العباس القرطبي أبو محمد بن رواح، رشيد الدين عبد الوهاب بن رواح.

تلاميذه منهم: ابنه: شهاب الدين أحمد، إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد الخراستاني.

مؤلفاته منها: الجامع لأحكام القرآن [13]التذكار في فضل الأذكار، التذكرة في أحوال الموتى [1]

---

(١) سورة يونس: الآية(92)
(٢) انظر : مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه : ص63، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام ابن جني : 316/1، الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي: 216/1
(٣) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام ابن جني: 316/1
(٤) سورة الليل: الآية (3)
(٥)انظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص174، والنشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري: 14/1
(٦)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام ابن جني : 364/2
(٧) معجم مقاييس اللغة، للإمام ابن فارس: 275/2
(٨) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: 47/1
(٩)النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري:17/1
(١٠) انظر: طبقات المفسرين، للإمام الداودي: 65/2 – 66، وطبقات المفسرين، للإمام لسيوطي: ص 79
(١١)انظر: الأعلام:219/1، سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي: 80/23، النجوم الزاهرة، للإمام تغري بردي :373/7، التذكرة في أحوال الموتى للإمام القرطبي: ص138، الوافي بالوفيات: 122/2 – 123، معجم البلدان:211/5
(١٢) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، للإمام أبي عبيدة مشهور بن حسن: ص 18 - 19
(١٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى، للإمام القرطبي: ص112

المبحث الأول

منهج الإمام القرطبي في التعامل مع القراءات الشاذة وأثرها في تفسيره

وفيه مطلبان: المطلب الأول: منهج الإمام القرطبي في التعامل مع القراءات الشاذة:

ويمكن أن نتلمس ذلك في النقاط الآتية:1- استخدام الإمام القرطبي القراءات الشاذة في خدمة تفسيره، ومن صور ذلك: أ- تقوية الوجوه الإعرابية بما ورد في القراءات الشاذة: ومثال ذلك ما ذكره من تفسير قوله تعالى :" وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ "[2]

قال الإمام القرطبي:" وقرأ الباقون بالرفع على الاستئناف ، والقطع من الكلام الأول، وفيه ضمير اسم الله عز وجل، أي: ولا يأمركم الله أن تتخذوا؛ **ويقوي هذه القراءة أن في مصحف عبد الله" ولن يأمركم" فهذا يدل على الاستئناف**[3] **ففي هذا المثال يقوي بالقراءة الشاذة الوجه الإعرابي.**

ب - تأييده للقراءة المتواترة بما جاء في قراءة شاذة :ومثال ذلك قوله تعالى:" وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ "[4] **قال الإمام القرطبي:" وقرأ ابن محيصن** " ويشهد الله على ما في قلبه" **بفتح الياء والهاء في" يشهد"" الله" بالرفع، والمعنى يعجبك قوله** ، والله يعلم منه خلاف ما قال ؛ دليله قوله:" والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" **وقراءة ابن عباس**:" والله يشهد على ما في قلبه "، وقراءة الجماعة أبلغ في الذم، لأنه قوي على نفسه التزام الكلام الحسن، ثم ظهر من باطنه خلافه، **وقرأ ابن مسعود " ويستشهد الله على ما في قلبه"** وهي حجة لقراءة الجماعة[5] **فنكر القراءة الشاذة ليقوي بها المتواترة.**

ج - رد معنى القراءة الشاذة إلى القراءة المتواترة : في قوله تعال ى:" إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ "[6] قال القرطبي:" **وقرأ ابن مسعود**" ولن تسأل"، **وقرأ أبي** " وما تسأل "، ومعناهما موافق لقراءة الجمهور، نفى أن يكون مسئولا عنهم[7] **فيود القراءة الشاذة إلى معنى القراءة المتواترة.**

د - تقوية أحد آراء المفسرين بما جاء في قراءة شاذة :في قوله تعالى :" وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ "رَّشِيدٞ"[8]قال الإمام القرطبي:" وقد اختلف في قوله :" هؤلاء بناتي " ... وقالت فرقة- منهم مجاهد و بن جبير- أشار بقوله:" بناتي" إلى النساء جملة، إذ نبي القوم أب لهم، **ويقوي هذا قراءة ابن مسعود " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم**[9]**فيقوي أحد الآراء التفسيرية بالقراءة الشاذة.**

---

(١) انظر: طبقات المفسرين، للداودي، (66/2).
(٢)سورة آل عمران: الآية(80)
(٣)الجامع لأحكام القرآن: 131/4
(٤)سورة البقرة: الآية(204)
(٥)انظر: الجامع لأحكام القرآن: 131/4، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص20
(٦)سورة البقرة: الآية(119)
(٧)الجامع لأحكام القرآن: 100/2
(٨)سورة هود: الآية(78)
(٩)انظر: الجامع لأحكام القرآن:162/1، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص120

المطلب الثاني: أثر القراءات الشاذة في التفسير لدى الإمام القرطبي:

لقد كان للقراءات القرآنية متواترها وشاذها أثر كبير في التفسير بشتى أنواعه ـ أعني أنواع كتب التفسير ـ فهي مقسمة إلى أقسام عدة تبعا للأغراض التي ألفها عليها مؤلفوها[1]، ونظرا لتشعب أثر القراءات الشاذة في تفسير الإمام القرطبي وتطرق المصنف للكثير من الموضوعات والمعاني فإنني سأقتصر على ذكر بعض الأمثلة لتبيين أثر القراءات الشاذة المثبوتة في تفسير الإمام القرطبي في النماذج الآتية:

أولا: أثر القراءة الشاذة في إبراز العقيدة الصحيحة وإبطال العقائد الفاسدة المنحرفة:

إن تناول الإمام القرطبي للقراءة الشاذة في تفسيره ينبئ عن إبراز عقيدته الصحيحة لأهل السنة والجماعة ، وإبطائل عقائد الفرق الأخرى المنحرفة، ويتضح ذلك في النماذج الآتية:

1- في قوله تعالى " بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ "[2]قال الإمام القرطبي :" **قرأ ابن عباس ومجاهد**" بل زَيّن للذين كفروا مكرهم" مسمى الفاعل، وعلى قراءة الجماعة فالذي زين للذين كفروا مكرهم هو الله تعالى، وقيل: الشيطان... وقراءة الضم أيضا حسنة في " زُيِّن " و" صُدُّوا " لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة، وفيه إثبات القدر[3]**فالمتأمل يجد الإمام القرطبي ذكر القراءة الشاذة ثم صرح بتحسين القراءة القراءة الثابتة؛لأن فيه إثبات القدر،وهو مذهب أهل السنة والجماعة وإبطالا لمذهب القدرية.**

2- في قوله تعالى:" وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡ "[4]

قال الإمام القرطبي:"_**وقرأ يحيى بن وثاب**" إنما نملي لهم" بكسر إن فيهما جميعا، قال أبو جعفر : وقراءة يحيى حسنة... والآية نص في بطلان مذهب القدرية، لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي[5]؛ **فالمتأمل في هذا المثال يرى أن الإمام القرطبي ذكر قراءة شاذة وأشار إلى أن بعض الناس احتجوا بهذه القراءة لأهل القدر مع تأويل فاسد للآية، بيد أن الإمام القرطبي يرد عليهم بقوله إن الآية بما فيها من ق راءات توحي ببطلان مذهب القدرية.**

3- في قوله تعالى:" فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ "[6] قال الإمام القرطبي:" **قرأ ابن عباس وقتادة**: فإذا فرغت من صلاتك فانصب؛ **وقرأ ابن مسعود:** إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل...ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية (فأنصب) بكسر الصاد، والهمز من أوله، وقالوا: معناه: أنصب الإمام الذي تستخلفه، وهذا باطل في القراءة، باطل في المعنى، لأن النبي لم يستخلف أحدا[7]

يتبين من هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر القراءة الشاذة ليرد بها على من أراد أن يؤيد بها مذهبه، فرد عليهم بأن القراءة باطلة من حيث القراءة؛ ومن حيث المعنى لأن النبي لم يثبت عنه أنه استخلف أحدا.

ثانيا: أثر القراءة الشاذة في تأييد رأي على غيره من الآراء: وقد برز هذا جليا في ثنايا الأمثلة:

1- في قوله تعالى:" وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ "[8]

---

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، د/ عمر بازمول:ص334
(٢) سورة الرعد: جزء من الآية(33)
(٣) انظر:الجامع لأحكام القرآن:333/9، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص71
(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية(178)
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن:296/4، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص29
(٦) سورة الشرح: الآية(7)
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن:109/20، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص176
(٨) سورة الأنعام: جزء من الآية(74)

قال الإمام القرطبي :" و" آزر" فيه قراءات :" أإزرا" بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، عن ابن عباس، وعنه" أأزرا" بهمزتين مفتوحتين، وقرئ بالرفع، وروي ذلك عن ابن عباس، وعلى القراءتين الأوليين عنه" تتخذ" بغير همزة، وقرى" آزر" أي يا آزر، على النداء المفرد، **وهي قراءة أبي ويعقوب**، وهو يقوّي القول: إن آزر اسم أب إبراهيم"[1] **نلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قولين في معنى " آزر" ثم ذكر قراءات شاذة لهذه الكلمة كان منها قراءة ليعقوب قوى بها الرأي الثاني.**

المطلب الثالث: أثر القراءات الشاذة على اللغة:

أولا: القراءات الشاذة كشفت عن فصاحة مفردات في اللغة العربية يظن أنها لحن ومنها:

- في قوله تعالى:" وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ "[2]

قال الإمام القرطبي: **وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة والجارود بن أبي سبرة بكسر الراء** من" الرِّضاعة" وهي لغة كالحَضارة والحِضارة، وروي عن مجاهد أنه قرأ" الرضعة" على وزن الفعلة، وروي عن ابن عباس أنه قرأ" أن يكمل الرضاعة"، وقال النحاس: لا يعرف البصريون" الرضاعة" إلا بفتح الراء، ولا" الرضاع" إلا بكسر الراء، مثل القتال، وحكى الكوفيون كسر الراء مع الهاء وفتحها بغير هاء[3]

ففي هذا المثال يذكر الإمام القرطبي قراءتين شاذتين وجه الأولى بأنها لغة، والثانية بالصرف، فهاتان القراءتان لغتان صحيحتان من لغات العرب علمنا ذلك من خلال توجيهه للقراءات الشاذة؛ ومن ثم يتبين لنا أنه توجد كلمات يتكلم بها الناس يعتقدون أنها كلمات عامية، فتبين لنا أنها لغات عربية فصحى.

ثانيا: أثر القراءات الشاذة في تعدد المعاني المختلفة:

إن اختلاف القراءات يؤدي إلى تعدد المعاني التي يوضح بعضها بعضا أحيانا، أو المعاني المتقاربة أحيانا أخرى، أو المعاني المختلفة غير المتناقضة، وتكون كل قراءة في هذه الحالة بمنزلة الآية المستقلة، وهذا من مظاهر الإعجاز القرآني؛ والنماذج التي توضح ذلك كثيرة منها:

1- قوله تعالى :" لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ "[4] قال الإمام القرطبي :" قوله تعالى : "لِّلَّذِين يُؤۡلُونَ" يؤلون" معناه يحلفون، والمصدر إيلاء وألية وألوة وإلوة، **وقرأ أبي وابن عباس** " للذين يقسمون "، ومعلوم أن" يقسمون" تفسير" يؤلون"[5] يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر القراءة الشاذة التي تبين تعدد المعنى الواحد للقراءة الشاذة.

2- قوله تعالى :" أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ "[6] قال الإمام القرطبي :" قوله تعالى "أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ" أي: من ذهب، **عن ابن عباس وغيره**، وأصله الزينة، والمزخرف المزين، وزخارف الماء طرائقه، وقال مجاهد: كنت لا أدري ما الزخرف حتى رأيته في **قراءة ابن مسعود**" بيت من ذهب"[7]

يتبين هنا أن القراءة الشاذة أضافت معان أخرى كما يتضح من خلال هذا المثال الذي أشرت إليه.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن:23/7، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص44
(٢)سورة البقرة: جزء من الآية(233)
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن:162/3، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص21
(٤)سورة البقرة: جزء من الآية(226)
(٥)انظر: الجامع لأحكام القرآن:106/3، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص21
(٦)سورة الإسراء: جزء من الآية(93)
(٧)الجامع لأحكام القرآن:337/10

3- قوله تعالى :" إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا "[1] قال الإمام القرطبي :" **وفي قراءة أبي بن كعب** " إني نذرت للرحمن صوما صمتا" وروي عن أنس، وعنه أيضا" وصمتا" بواو، واختلاف اللفظين يدل على أن الحرف ذكر تفسيرا لا قرآنا، فإذا أتت معه واو فممكن أن يكون غير الصوم، والذي تتابعت به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت، لأن الصوم إمساك والصمت إمساك عن الكلام، وقيل: هو الصوم والمعروف، وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة، وعلى هذا تخرج قراءة أنس" وصمتا" بواو، وأن الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما بالنذر "[2] **يلاحظ في هذا المثال أن القراءة الشاذة فسرت المقصود من القراءة المتواترة، وأزالت لبسا من الممكن أن يقع فيه كثير من الناس.**

4- قوله تعالى:" فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ "[3] قال الإمام القرطبي:" **وقرأ ابن مسعود كذلك وقال**: لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي، **وقرأ ابن شهاب**:" فامضوا إلى ذكر الله سالكا تلك السبيل"، وهو كله تفسير منهم، لا قراءة قرآن منزل، وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير[4] **يلاحظ فـي هذا المثال أن القراءة الشاذة فسرت ووضحت المقصود من القراءة المتواترة، وأزالت لبسا وقع فيه بعض الناس.**

5- قوله تعالى:" لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ"[5]

قال الإمام القرطبي: فأما من قرأ" ظلم" بالفتح في الظاء واللام؛ **وهي قراءة زيد بن أسلم**، فالمعنى: إلا من ظلم في فعل أو قول فاجهروا له بالسوء من القول، في معنى النهي عن فعله والتوبيخ له والرد عليه، المعنى لا يحب الله أن يقال لمن تاب من النفاق: ألست نافقت ؟ إلا من ظلم، أي أقام على النفاق، ودل على هذا قوله تعالى:" إلا الذين تابوا"[6] **يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءة شاذة وذكر معناها المغاير للقراءة المتواترة مؤكدا على ذلك المعنى بسياق الآيات بطريقة رائعة؛ قال الإمام ابن جني** :" إلا من ظلم بفتح الظاء واللام على الاستثناء المنقطع[7]

6- قوله تعالى:" فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا "[8] قال الإمام القرطبي: وقرأ يعقوب(ربُّنا) رفعا و"باعد" بفتح العين والدال على الخبر، وقراءة يحيى بن يعمر" ربنا بعد بين أسفارنا" بشد العين من غير ألف، وقراءة سعيد بن أبي الحسن " ربنا بعد بين أسفارنا، و" ربنا" نداء مضاف، ثم أخبروا بعد ذلك فقالوا :" بعد بين أسفارنا" ورفع" بين" بالفعل، أي، بعد ما يتصل بأسفارنا، وروى الفراء وأبو إسحاق قراءة سادسة مثل التي قبلها في ضم العين إلا أنك تنصب" بين" على ظرف، وتقديره في العربية: بعد سيرنا بين أسفارنا، قال النحاس: وهذه القراءات إذا اختلفت معانيهالم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها[9] **يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر القراءة الشاذة وكان لها معان متعددة؛ قال الإمام ابن جني:"** أما أما "بعد" و"باعد بين أسفارنا" فإن "بين" فيه منصوب نصب المفعول به، كقولك: بعد وباعد مسافة أسفارنا، وليس نصبه على الظرف، يدل على ذلك قراءة: "بعد بين أسفارنا"، فرفعه دليل كونه اسما[10]

---

(١) سورة مريم: جزء من الآية(26)
(٢)الجامع لأحكام القرآن:104/11، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص87
(٣) سورة الجمعة: جزء من الآية(9)
(٤)الجامع لأحكام القرآن:18/ 98، أحكام القرآن، لابن العربي: 1804/4
(٥)سورة النساء: جزء من الآية(148)
(٦)الجامع لأحكام القرآن:7/ 5-6، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص36
(٧)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام ابن جني : 203/1
(٨)سورة سبأ: جزء من الآية(19)
(٩)الجامع لأحكام القرآن:279/14، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص122
(١٠)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، للإمام ابن جني :189/2

المبحث الثاني: أثر القراءات الشاذة في الأحكام الفقهية لدى الإمام القرطبي في تفسيره

وفيه مطلبان :المطلب الأول : موقف الفقهاء من الاحت جاج بالقراءات الشاذة في الأحكام الفقهية:اتفق أهل العلم على أن القراءة الشاذة ليست قرآنا، وذلك لأنها نقلت بطريق الآحاد، وبالتالي فقدت ركنا من أركان القراءة المقبولة الصحيحة، فلا تسمى قرآنا، وبناء على ذلك فما هي نظرة العلماء إليها بالنسبة لثبوت الأحكام الفقهية بها أو عدم ذلك ؟[1] سأقوم فيما يلي ببيان مذاهب الفقهاء في هذه المسألة:

المذهب الأول: ذهب أصحابه إلى القول بعدم الاحتجاج بالقراءة الشاذة؛ لأنها لا تعدو قرآنا ولا خبرا منقولا عن النبيﷺ؛ وممن ذهب إلى ذلك بعض علماء الشافعية ومنهم: الجويني وابن العربي من المالكية[2]

جاء في أحكام القرآن للإمام ابن العربي:" والقراءة الشاذة لا يبنى عليها حكم؛ لأنه لم يثبت لها أصل"[3]

ويرى الباحث: إذا كان الإمام ابن العربي يقصد من كلامه القراءة الشاذة غير صحيحة السند فكلامه مقبول، أما إذا قصد بكلامه كل قراءة شاذة بما فيها صحيحة السند فكلامه غير مقبول؛ لأن من القراءات الشاذة ما صح سندها وثبت لها أصل في السنة وقبلت على أنها خبر آحاد.

المذهب الثاني: ذهب أصحاب هذا القول: بأن القراءة الشاذة حجة يمكن إثبات الأحكام الشرعية بها؛ وممن ذهب إليه الأحناف والحنابلة ورواية عن الإمام الشافعي[4]

الأدلـــة:أولا: أدلة المذهب الأول: استدل أصحاب المذهب بالإجماع والمعقول:

- الإجماع: أن الصحابة - رضي الله عنهم - قد أجمعوا في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان على ما بين الدفتين، وطرحوا ما عداه، وكان ذلك باتفاق منهم، وبالتالي أية زيادة لا تحويها الأم، ولا تشتمل عليها الدفتان فهي غير معدة في القرآن[5]

- المعقول:1- إن النبي ﷺ كان مكلفا بإلقاء ما أنزل عليه من القرآن على طائفة تقوم الحجة القاطعة بقولهم، ومن تقوم الحجة القاطعة بقولهم لا يتصور عليهم التوافق على عدم نقل ما سمعوه[6]

2- إن الراوي إذا كان واحدا، إن ذكر - أي مارواه - على أنه قرآن فهو خطأ، وإن لم يذكره على أنه قرآن، فقد تردد بين أن يكون خبرا عن النبيﷺ وبين أن يكون ذلك مذهبا له فلا يكون حجة، أي أنه متردد بين كونه خبرا أو مذهبا لناقله، وما تردد بين أن يكون خبرا أو لا يكون فلا يجوز العمل به[7]، وإن كان مذهبا له فلا يحتج به؛ **قال الإمام النووي**:" لكن مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول اللهﷺ؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا[8]

---

(١) أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية، د/ عزت شحاتة: ص47، مؤسسة المختار، ط2(1427هـ)
(٢)انظر : البحر المحيط، للإمام أبي حيان : 220/2، المستصفى، للإمام الغزالي : 194/1، البرهان في أصول الفقه، للإمام الجويني : 257/1، الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم : 229/1، القواعد والفوائد الأصولية، للإمام ابن اللحام الحنبلي : 155/1، قواطع الأدلة في الأصول، للإمام السمعاني: 144/1
(٣) أحكام القرآن، للإمام ابن العربي: 79/1
(٤) انظر: أصول السرخسي:281/1، والتقرير والتحبير، للإمام شمس الدين ابن أمير حاج : 216/2، شرح مختصر الروضة، للإمام نجم الدين الطوفي: 25/2، روضة الناظر، للإمام ابن قدامة: ص34، البحر المحيط، لأبي حيان: 222/1
(٥) التقرير والتحبير، للإمام شمس الدين ابن أمير حاج: 257/1، قواطع الأدلة، للإمام السمعاني: 414/1
(٦) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم: 229/1
(٧) انظر: المستصفى، للإمام الغزالي: 194/1، الإحكام في أصول الأحكام، للإمام ابن حزم: 230/1
(٨) المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم، للإمام النووي: 130/5

ثانيا : أدلة المذهب الث اني: استدل القائلون بحجة القراة الشاذة، وأنها تحمل على أنها خبر عن النبي ﷺ بالمعقول:1- إن ما نقل من القرآن بطريق الآحاد فهو حجة؛ لأنه دائر بين أمرين اثنين: إما كونه قرآنا أو خبرا، و كلاهما - أي القرآن والخبر - يوجب العمل(1)

وجه ذلك: إن الناقل جازم بالسماع عن رسول الله ﷺ فصدوره عن الرسول ﷺ إما على جهة تبليغ الوحي فيكون قرآنا، أو على جهة تفسير فيكون خبرا، وما ينقله الناقل عنهﷺ لا يخرج من كونه خبرا(2)

2- إن المنقول إنما نقل عن رسول الله ولا يلزم من انتفاء خصوص قرآنيته انتفاء عموم خبريته(3)

3- إن سبب اعتبار المنقول خبرا عدالة الراوي - فهو ما قرأ به - أي بتلك القراءة - إلا سماعا من رسول الله وخبره مقبول في وجوب العمل به(4)

قلت: وقد ذكر الإمام القرطبي هذين المذهبين باختصار دون ترجيح لأحدهما في تفسيره حيث قال :" أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليس بقرآن، ولا يعمل بها على أنها منه، وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود(فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، فأما لو صح الراوي بسماعها من رسول الله فاختلف العلماء على قولين: النفي والإثبات؛ وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، والوجه الثاني:إن لم يثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل به كسائر أخبار الآحاد"(5)

الرأي الرجح: والرأي الذي تميل إليه النفس هو القول بحجية القراءة الشاذة إذا صح سندها وصرح الراوي بسماعها من رسول الله ولم تخالف صريح القرآن.

المطلب الثاني: أثر القراءات الشاذة على الأحكام الفقهية:

بعد أن بينت موقف الفقهاء من الاحتجاج بالقراءة الشاذة كان لذلك ثمرة برزت من خلالها بعض الاختلافات الفقهية، وسأقوم ببيان الأثر المترتب على الأخذ أو عدم الأخذ بالقراءة الشاذة في النماذج الآتية : ومن المسائل التي توضح أثر القراءت الشاذة على الأحكام الفقهية أذكر ما يلي:

1- قوله تعالى:" وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ"(6)

قال الإمام القرطبي :" ذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين آخر السورة وهنا، ولم يذكر في الموضعين وارثا غير الإخوة، فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عنى بها الإخوة للأم، **وكان سعد بن أبي وقاص يقرأ** (وله أخ أو أخت من أمه)(7)

يلاحظ في المثال أن للقراء ة الشاذة أثر فقهي جليل حيث أضافت كلمة " أم" على القراءة المتواترة، وقد أجمع العلماء على أن الأخوة في هذه الآية: هم الأخوة لأم مستدلين بالقراءة الشاذة التي نسبت إلى سعد بن أبي وقاص، وقد بينت الآية أن حق الأخوة من الأم من الميراث هم السدس في حالة انفراد الأخ لأم أو الأخت لأم بشرط عدم وجود الوالد والولد، والثلث للاثنين فأكثر للأخوة لأم ذكورا كانوا أم إناثا ، وقد أجمع العلماء على أن الإخوة الذين ذكروا في آخر السورة، وهو الموضع الثاني الذي ذكر فيه الكلالة هم الأخوة الأشقاء والأخوة لأب،

---

(١) انظر: شرح مختصر الروضة للإمام نجم الدين الطوفي: 52/2، وروضة الناظر، للإمام ابن قدامة : 25/2، وشرح الكوكب المنير، للإمام أبي البقاء الحنبلي: 204/1
(٢) انظر: شرح مختصر الروضة، للإمام نجم الدين الطوفي: 25/2
(٣) انظر: حاشية العطار، للإمام العطار: 299/1
(٤) انظر: أصول السرخسي: 281/1
(٥) الجامع لأحكام القرآن: 64/1
(٦) سورة النساء: جزء من الآية(11)
(٧)انظر: الجامع لأحكام القرآن: 82/5، مختصر في شواذ القرآن، للإمام ابن خالويه: ص31

وقد بينت الآية ميراثهم، وبهذا المثال نعلم أن الفقهاء جميعا قد أخذوا بالقراءة الشاذة واحتجوا ب ها على ميراث الأخوة لأم، ولا يوجد دليل أبلغ من هذا على حجية القراءات الشاذة وأثرها في الفقه"[1]

2- قوله تعالى:" :" وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ" [2]قال الإمام القرطبي:" **قرأ الشعبي وأبو حيوة برفع التاء** في" العمرة"، وهي تدل على عدم الوجوب، وقرأ الجماعة" العمرة" بنصب التاء، وهي تدل على الوجوب[3]

يلاحظ في المثال السابق أن الإمام القرطبي ذكر قراءتين الأولى شاذة والثا نية متواترة قرأ بها العشرة دون خلاف ثم ذكر الأثر الفقهي المترتب على هاتين القراءتين بكل وضوح فقال بعد الأولى وهي تدل على عدم الوجوب، وقال بعد الثانية وهي تدل على عدم الوجوب؛ وبسبب هاتين القراءتين اختلف الفقهاء في حكم أداء العمرة هل هي واجبة أم عير واجبة [4]قال الإمام الشوكاني :" وهذا وإن كان فيه بعد ، لكنه يجب المصير إليه جمعا بين الأدلة، ولا سيما بعد تصريحه من عدم الوجوب[5]**والرأي الذي تميل إليه النفس هو قول الشوكاني.**

المبحث الثالث: الإمام القرطبي ما له وما عليه

وفيه: المطلب الأول: ما يحسب للإمام القرطبي:

أهم ما تميز به الإمام القرطبي في ثنايا مناقشته للقراءات الشاذة في تفسيره ما يلي:

1- مما يحسب للإمام القرطبي توسعه في ذكر القراءات القرآنية سواء المتواترة والشاذة؛ فإنه يوجهها ويسخرها لخدمة تفسيره.

2- لم يكثر الإمام القرطبي من ذكر القراءات الشاذة شذوذا فاحشا، وإنما ذكر أمثلة معدودة لها من أجل التحذير منها وإبطالها رواية ومعنى.

3- يذكر الإمام القرطبي قراءات مخالفة لرسم المصحف أحيانا، ويبيين أنها قراءات تفسيرية وغرضه من ذلك إثراء تفسيره.

4- مما يحسب للإمام القرطبي توجيهه للقراءات الشاذة ببيان معناها وتوجيهها بالنحو أو الصرف أو الشعر أو بالقرآن أو بالسنة أو غير ذلك.

5- استخدم الإمام القرطبي القراءات الشاذة في خدمة القرآن وعلومه؛ فقد كان يقوي بها وجها إعرابيا في قراءة صحيحة أحيانا، أو يقوي بها آراء بعض المفسرين أو يرفضها أو يبين أنها إحدى لهجات العرب.

المطلب الثاني: ما يؤخذ على الإمام القرطبي:

1- إن مما يؤخذ على الإمام القرطبي ندرة حكمه على القراءات الشاذة أحيانا، وإنما كان يكتفي بنسبة هذه القراءات إلى أصحابها أو إلى البلد الذين قرأوا بها.

2- **ترجيحه لقراءة شاذة على قراءة متواترة**، وهذا لا يجوز؛ لأنه لا يجوز لنا أن نرجح قراءة غير ثابتة وليست من القرآن على ما ثبت أنه قرآن بإجماع المسلمين، ومن ذلك : في قوله تعالى :" فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ " قال الإمام القرطبي:" وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب والسلمي متجنف دون ألف، **وهو أبلغ في المعنى**، لأن شد العين يقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتا لحكمه، وتفاعل إنما هو محاكاة الشيء والتقرب منه، ألا ترى أنك إذا قلت: تمايل الغصن فإن ذلك يقتضي تأودا ومقاربة ميل، وإذا قلت: تميل فقد ثبت حكم الميل،

---

(١) انظر: أثر القراءات في الفقه، د/ صبري عبد القوي: ص367
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية(196)
(٣)الجامع لأحكام القرآن: 369/2، وانظر: مختصر في شواذ القرآن: للإمام ابن خالويه: ص12
(٤) الفقه الإسلامي وأدلته، للإمام الزحيلي: 18/3
(٥) انظر: فتح القدير، للإمام الشوكاني: 195/1

وكذلك تصاون الرجل وتصون، وتعاقل وتعقل، فالمعنى غير متعمد لمعصية في مقصده[1] يلاحظ في هذا المثال أن الإمام القرطبي ذكر قراءة متواترة لم يختلف فيها القراء العشرة، ثم بين معناها ثم ذكر قراءة شاذة وصفها أنها أبلغ في المعنى وهذا خطأ لا يجوز أن يقع فيه مثل الإمام القرطبي، فلا يجوز بأي حال أن نصف قراءة شاذة أنها أبلغ في المعنى من قراءة متواترة.

الخاتمة

وتشتمل على:أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

1-إن اهتمام الإمام القرطبي بالقراءات القرآنية في تفسيره سواء المتواترة والشاذة جعل من تفسيره مصدرا مهما من مصادر القراءات القرآنية.

2- أبدع الإمام القرطبي في توجيهه للقراءات القرآنية في تفسيره بطريقة تدل على سعة أفقه وعلمه وثقافته

3- برع الإمام القرطبي في استخدام القراءات الشاذة في خدمة تفسيره بطرق متعددة فأحيانا كان يقوي بها قراءة متواترة إلى غير ذلك مما أشرت إليه.

4- الترجيح بين القراءات القرآنية تميز فيه الإمام القرطبي بطريقة معتدلة ومقبولة؛ فقد كان يهدف من الترجيح إلى إبراز القراءة الراجحة وإظهار فصاحتها وإعجازها.

5- يدافع الإمام القرطبي عن القراءة المتواترة بكل قوة ويبوع في استخدام وسائله من أجل ذلك.

ثانيا: أهم التوصيات:1- أوصي الباحثين بدراسة القراءات القرآنية في كتب المفسرين وبيان نسبتها إلى مظانها الأصلية حتى يتحقق القارئ من قراءته التي يقصد للقراءة بها.

2- أوصي الباحثين باعتماد تفسير الإمام القرطبي مصدرا مهما من من مصادر القراءات القرآنية، وأن يعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا.

المصادروالمراجع

م	المرجع	المؤلف
1	الإبانة عن معاني القراءات	للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، دار نهضة مصر، ط(د.ت)
2	إتحاف فضلاء البشر	للإمام الدمياطي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط(1427هـ)
3	الإتقان في علوم القرآن	للإمام السيوطي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(1974م)
4	أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية	د/ عزت شحاتة، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2(147هـ،2006م)
5	أثر القراءات في الفقه	د/ صيري عبد القوي، دار أضواء السلف، الرياض، ط(1418هـ)
6	أحكام القرآن	للإمام ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1424هـ)
7	الإحكام في أصول الأحكام	للإمام ابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(د.ت)
8	أصول السرخسي	للإمام السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ط(د.ت)
9	الأعلام	للإمام الزركلي، دار العلم للملايين، ط15(2002م)
10	الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير	للإمام أبي عبيدة مشهور بن حسن، دار القلم، دمشق، ط(1993م)
11	البحر المحيط	للإمام أبي حيان، دار الفكر، بيروت، ط(د.ت)

(١) الجامع لأحكام القرآن: 67/6، مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ص37

م	المرجع	المؤلف
12	بداية المجتهد	للإمام ابن رشد القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ط(د.ت)
13	البدور الزاهرة في القراءات العشر	للإمام عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(د.ت)
14	البرهان في أصول الفقه	للإمام الجويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(د.ت)
15	البرهان في علوم القرآن	للإمام الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط1(1957م)
16	بلغة السالك لأقرب المسالك	للإمام الصاوي المالكي، دار المعارف، ط(د.ت)
17	تأويل مشكل القرآن	للإمام ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(د.ت)
18	التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة	للإمام القرطبي، دار المنهاج، الرياض، ط(د.ت)
19	التقرير والتحبير	للإمام شمس الدين ابن أمير حاج، دار الكتب العلمية، ط2(1983م)
20	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	للإمام الطبري، دار هجر للطباعة، ط1(2001م)
21	الجامع لأحكام القرآن	للإمام القرطبي، دار الكتب المصرية، ط2(1964م)
22	حاشية العطار على شرح الجلال المحلى	للإمام العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(د.ت)
23	روائع البيان تفسير آيات الأحكام	للإمام الصابوني، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط3(1980م)
24	روضة الناظر في أصول الفقه	للإمام ابن قدامة، مؤسسة الريان للطباعة، ط2(1423هـ،2002م)
25	سنن الترمذي	للإمام الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2(1975م)
26	سير أعلام النبلاء	للإمام الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط(1427هـ،2006م)
27	شرح الكوكب المنير	للإمام أبي البقاء الحنبلي، مكتبة العبيكان، ط2(1997م)
28	شرح مختصر الروضة	للإمام نجم الدين الطوفي، مؤسسة الرسالة، ط1(1407هـ)
29	طبقات المفسرين	للإمام السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1(1396هـ)
30	طبقات المفسرين	للإمام الداوودي، مكتبة العلوم والحكم، ط1(1997م)
31	غاية النهاية في طبقات القراء	للإمام ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، ط(د.ت)
32	فتح القدير	للإمام الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1(1414هـ)
33	الفقه الإسلامي وأدلته	د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط4(د.ت)
34	القاموس المحيط	للإمام الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8(2005م)
35	القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي	د/ محمود أحمد الصغير، دار الفكر، ط1(1999م)
36	القراءات وأثرها في التفسير والأحكام	د/ محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، ط1(1417هـ،1996م)
37	قواطع الأدلة في الأصول	للإمام السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1999م)
38	القواعد والفوائد الأصولية	للإمام ابن اللحام الحنبلي، المكتبة العصرية، ط(1420هـ)
39	كشاف القناع عن متن الإقناع	للإمام البهوتي، دار الكتب العلمية، ط(د.ت)
40	الكشف عن وجوه القراءات	للإمام مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، ط(1404هـ)
41	لسان العرب	للإمام ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3(1414هـ)
42	لطائف الإشارات لفنون القراءات	للإمام القسطلاني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط1(1972م)
43	مباحث في علوم القرآن	للإمام مناع القطان، مكتبة المعارف، ط3(200م)
44	المجموع شرح المهذب	للإمام النووي، دار الفكر، ط(د.ت)
45	المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات	للإمام ابن جني،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط(1420ه-)
46	مختار الصحاح	للإمام الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، ط5(1420هـ)
47	مختصر في شواذ القرآن	للإمام ابن خالويه، مكتبة المتنبي، ط(د.ت)
48	المدخل إلى علم القراءات	د/ محمد بن محمود حوا، دار الفكر، ط(د.ت)
49	المستصفى	للإمام الغزالي، دار الكتب العمية، بيروت، ط1(1993م)
50	معجم البلدان	للإمام ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2(1995م)
51	معجم القراءات القرآنية	د/ أحمد مختار عمر وآخرون، دار عالم الكتاب، ط1(1997م)

م	المرجع	المؤلف
52	معجم المؤلفين	للإمام رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ط(د.ت)